

سلسلة - حضرة

# إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من جديد



دعوة  
إلى

إنشاء

مؤسسة إسلامية

للاضطلاع بالمهمة الرائدة

إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، أو إعادة ترتيب أوراقه مسألة بالغة الأهمية باتت تفرض نفسها بقوة على الباحثين والعاملين ، وتحتل الصدارة في قضايا الحضارة الإسلامية .. ذلك أن تفتح الوعي العقيدي الصحيح في أجيال ما بعد إلغاء الخلافة العثمانية ، وما بعد فرض الانتداب وتقسيم العالم الإسلامي إلى مناطق نفوذ للدول الكبرى ، فسقوط فلسطين بأيدي اليهود بعد حروب متعاقبة .. إن تفتح الوعي هذا قد أخذ مسارا تصاعديا بعد ردم فجوات الهزيمة والتخلف !

وفضلا عن ذلك فإن محاولات الانبعاث على امتداد الساحة الإسلامية تلك التي تحاول تقويم الشخصية الاستقلالية الحضارية للأمة ولأفرادها .. قد أدت إلى تعميق الإدراك لدى غالبية الجماهير الإسلامية .. فاكتشفت هذه خطورة الدس الاستعماري الرخيص ومحاولاته الفاشلة في التشكيك المستمر بتاريخ الحضارة الإسلامية وقيمها وأفكارها وثقافتها ..

بمناه

محمد علي  
الضناوي

● إن المنهج العلمي المتين لعلماء الحديث قد غاب بشكل

يكاد يكون كاملاً عن كتابة التاريخ الإسلامي

● لا يجوز أن نؤرخ لأمة الإسلام تاريخاً وقائعها فحسب

بل لابد من ربط التاريخ بالإسلام نفسه

أن تنفر منهم فرقة تقوم بهذا العبء الجبار ، فيغدو الفرض العيني هذا فرضاً كفاًئياً .. لا يعفى القادر من المراقبة والتصحيح ..

ثالثها : أن واجب المؤسسات الكبرى ، حكومات أو جامعات ، أن تنقل كافة الوثائق والمخطوطات من المكتبات العالمية ، ومن محفوظات وزارات الخارجية في انكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا وأميركا ، وعلى الأخص في تركيا حيث وثائق الإمبراطورية العثمانية ، إلى عالم التحقيق والتعريب .. حتى تكون عوناً للباحثين .

رابعها : أن تنبثق هيئة عليا لإعادة كتابة التاريخ عن إحدى المنظمات الإسلامية العالمية ، وأن يكون اختيار أولئك الباحثين من النوعية الممتازة ، بحيث تنطبق عليها مواصفات عديدة علمية وخلقية ودينية .

غير أن تلك البديهيات لا تعطل العمل الفردي أو المؤسسي المحدود ... وقد يكون هذا بداية الطريق إلى العمل الرسمي الواسع ، أو قد يكون ضرورياً في عملية تقرير الأسس التي ينبغي أن تنطلق منها قراءة التاريخ الجديدة ..

أطر عامة في كتابة التاريخ من جديد :

ولا يمكنني في مقال الإجابة على الأسئلة أعلاه ، أي عن المنهج الواجب اعتماده في كتابة التاريخ من جديد ، ولا عن الخلفية التي يمكن اعتمادها في محاكمة الوثائق .. وبحسبي في هذه العجالة أن أحاول رسم الأطر العامة لهذا البحث الخطير .

المنهج العلمي الحديث :

( ١ ) في ظني أن المنهج العلمي الذي اختاره علماء الحديث ينبغي أن يكون أحد أهم المرتكزات في تمحيص الوقائع التاريخية ، فإن كان قد وجد من تجرأ

فبات من الواجب تجميع تلك الأوراق ، أو نقض الخبر عنها ، أو ابعاد صور المسخ والتشويه فيها ..

( ٤ ) إن أرباب المكر والتامر ، من يهودية وصلبيية وتبشير واستعمار ، قد شوخوا عن عمد حقبة هامة في تاريخ الأمة ، وتفننوا في التزوير والتحريف لأغراض سياسية مرتبطة بمطامع استعمارية خاصة وإن كثيراً من المستشرقين عكفوا على كتابة التاريخ الإسلامي من وجهة نظرهم .. وفي سبيل تحقيق أهداف متعددة ..

( ٥ ) إن كثيراً من الوثائق والمخطوطات التاريخية الهامة لا تزال تقبع في أدراج المكتبات العالمية ، كما أن كثيراً من وثائق الإمبراطورية العثمانية ووزارات الخارجية في كثير من الدول التي كانت معنية بشؤون هذه المنطقة لم تنشر بعد ، أو أن بعضها نشر في لغات غير عربية ولم تعرب بعد ..

( ٦ ) إن نهضة مؤسسة واضحة المعالم آخذة في النمو والتوسع في جيل القرن الخامس عشر الهجري ، أو النصف الثاني من القرن العشرين تحاول أن تستقرىء التاريخ ، وتعيد ترتيب أوراقه لازالة تحريف أو دس في تاريخنا الطويل .. واطهار ذلك التاريخ على حقيقته ووفق مفاهيمه هو لا مفاهيم التاريخ الغربي .. غير أن السؤال الكبير يطرح نفسه : أي منهج سيعتمد في كتابة هذا التاريخ؟ وما هي الخلفية التي يمكن أن ننطلق منها في إعادة الكتابة؟ ثم كيف يمكن أن «نحاكم» الوثائق التاريخية؟

بديهيات أولى لإعادة الكتابة

ولابد بادية ذي بدء من تقرير بديهيات:

أولها : أن هذا العمل الجبار الغد يستحيل على فرد باحث ، أو أفراد باحثين القيام به منفردين .

ثانيها : أن هذا العمل الخطير فرض عين على جميع الباحثين القادرين إلى

كل هذا وذاك أدى ويؤدي إلى مزيد من «وعي الذات» وإلى محاولات مستمرة لقراءة واعية للتاريخ الإسلامي في شتى مراحلها باعتبار أن التاريخ مرآة تعكس ممارسات الأمة ومدى مطابقتها تلك الممارسات أو مجانبتها للمفاهيم التي انطلقت منها .. وهو بذاته أحد أهم مكونات شخصية الأمة وأفرادها ، كما هو أحد أهم الحوافز لاستعادة الدور الذي كان يلعبه السلف في قيادة هذا العالم .

الأسباب الداعية إلى إعادة كتابة التاريخ :

وفي اعتقادي أن ادراك مجموعة من المفكرين والمؤسسات وجوب إعادة ترتيب أوراق التاريخ الإسلامي يعود إلى جملة أسباب منها :

( ١ ) إن تاريخ العهود الإسلامية المتعاقبة قد كتب دون منهج واضح ، وكثيراً ما كان المنظور الشخصي ، أو منظور الحكم نفسه يتداخل مع عملية التاريخ ذاتها ، حتى إن حقيقة الأحداث تكاد تختفي في ثنايا كتب متعددة . ( ٢ ) إن تحريفاً مقصوداً طبع مجموعة من كتب التاريخ من أجل تغليب وجهة نظر مذهبية ، أو في سبيل إدراك مبتغى «حزبي» إن صح التعبير .

وبمعنى أوضح : أن المنهج العلمي المتين الذي شاد عليه علماء الحديث النبوي صالح الحديث ، حيث باتت الأمة مطمئنة إلى صحة الحديث متناً ورواية ، فضلاً عن اكتشاف ألوف الأحاديث الموضوععة أو الضعيفة يرفضها الإسلام ويأبأها .. إن هذا المنهج العلمي قد غاب بشكل يكاد يكون كاملاً عن كتابة التاريخ الإسلامي .. فتؤخذ الرواية على هنتاتها دونما تمحيص أو تدقيق أو مقابلة أو مقارنة .

( ٣ ) إن أوراقاً في التاريخ بالغة الأهمية قد بعثرت عن عمد فطمست معالمها .. أو دخلها التشويه والتحريف ..

## ● إعادة كتابة التاريخ الاسلامي مسألة بالغة الأهمية باتت تفرض نفسها بقوة

### على الباحثين و العاملين

## ● ان تاريخ العهود الاسلامية المتعاقبة قد كتب دون منهج واضح

## و كثيرا ما كان المنظور الشخصي أو منظور الحكم يتداخل مع عملية التاريخ ذاتها

الذان رافقا وسائرا كثيرا من السلاطين و «الصدور العظام» .  
ولابد هنا من الإشارة إلى وجوب استقرار النظام القضائي والإداري المعمول به في السلطنة ، والذي يقضي في أحد وجوهه إلى أهمية لم تدركها الأمم إلا حديثا ، وهي حصانة وسيادة القضاء على الولاة الإداريين ، فالسلطان عندما يصدر مرسومه بتعيين الوالي كان يوجه مرسومه إلى قاضي الولاية يعلمه فيه بهذا التعيين ، ويطلب إليه اعلام الناس بهذا ومطالبتهم بالطاعة .. وهو تطور عال للسلطة القضائية كما ترى ..

( ٧ ) ظروف الوقائع والأحداث : ومن خلال التمهيص التاريخي لابد من إيراد الوقائع ضمن الظروف الصعبة التي كان يتعامل بها الولاة والحكام في تلك الحقب ، إذ لا يجوز أن نحاكم أعمالهم من منظور فكري دون التعامل مع الأحداث وفق ظروفها التي نتجت عنها أوراقتها ( ٨ ) للعبة الدولية والمسألة الشرقية وعدم نجدة الأندلس الذبح والقوقاز والجزائر ..

وهذا مما لاشك فيه سيدفعنا إلى دراسة الظروف الدولية ، واللعبة السياسية العالمية .. حيث كان المسلمون فيها الفرسان الأول .. فإذا بهم في القرون المتأخرة ، وبعد فتح القسطنطينية بقرنين على الأكثر ، يفتقدون الدور الرئيسي . ويبدأ صراع الأوروبيين مع السلطنة واطماعهم في القضاء على ما اسموه «الرجل المريض» .. والانتهاج من المسألة الشرقية التي هي القضاء على الخلافة الإسلامية في استنبول ، وتوزع ممتلكاتها على الدول الكبرى .. أي لابد من دراسة لعبة الأمم ، ومدى انعكاسها على العالم الإسلامي ، وتأثيرها في الأحداث المحلية التي شهدتها المناطق المختلفة .. والتي أدت في النهاية إلى القضاء على الخلافة وإستعمار أكثر مناطق العالم الإسلامي المترامي

قاموا بجهود جبارة في خدمة الاسلام وفي الجهاد في سبيله .. كما أن معاوية نفسه كان يمارس الشورى فيما عدا ذلك ، كما كان مجاهداً عمل على نشر الاسلام .. وهكذا فإن الوقائع الصادرة عن (الانحراف) تدرس في خاتمة الانحراف ، كما تدرس وقائع الصحة في خانتها .. ( ٣ ) دراسة ظواهر الانحراف :

وكما ندرس الظواهر الحضارية التعددية الأشكال ، وحركة الجهاد الكبرى التي شقت طريقها في العالم لتحرير المستضعفين ، وإخراج الناس من العبودية لغير الله ، ومن الظلم إلى العدل .. لابد أن ندرس التيارات الشعبية وظواهر الانحراف المتعددة التي عملت في الجسم الاسلامي بدءاً باليهودية ومروراً بالمذاهب المنحرفة ، وانتهاءً بالصليبية والاستشراق والاستعمار ، أي لابد من درس هذه الحركات على أنها انحراف .. أثرت وتؤثر في الحياة الإسلامية .

( ٤ ) انحسار العربية : ولابد من دراسة الشعوب غير العربية التي حكمت باسم الاسلام دون أن تعرف لسانها وتستقيم عليه ، مما أدى إلى مزيد من الانحراف في حركة التاريخ الإسلامية .

( ٥ ) الحركات الجهادية للمدن ضد الزحف الصليبي : ولابد لدى دراستنا للحملات الصليبية من دراسة لحركات الجهاد المتعددة التي قامت المدن الإسلامية المختلفة سوى حركات عماد الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ، إذ أن كل مدينة محتلة بذلت جهوداً جبارة ساعدت في التحرير العام ..

( ٦ ) انصاف العهد العثماني : ولابد أيضاً من دراسة منصفة للعهد العثماني وبنفس الكثير من الغبار والابتعاد عن كثير من الدسائس التي حبكها بعناية أعداء الأمة والاسلام .. من خلال هذه الدراسة «المنصفة» لتلك العهود تظهر المحاسن ويتضح الانحراف

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع اقوال لم يقلها ، او ممارسة افعال لم يعملها ، فالأولى أن يتبارى المفكرون في التزوير والتحريف للوقائع التاريخية

( ٢ ) أن ننطلق في الكتابة من مفهوم اسلامي شامل .. فلا يجوز أن نؤرخ لأمة الاسلام تاريخاً وقائعيًا فحسب ، بل لابد من ربط التاريخ بالاسلام نفسه باعتبار أن الوقائع تلك هي محاولات وممارسات للاسلام ، وصحيحة او خاطئة ، او هي صورة صادقة او كاذبة لحضارته ، فلا يجوز أن ننسب إليه او إلى حضارته ما لا يقبله . ويعني هذا : أنه لا يجوز لنا أن نصور ما يرفضه الاسلام ويأباه بأنه ممارسة اسلامية .. ويعني هذا أيضاً بشكل أوضح : أن نقرأ التاريخ قراءة اسلامية ، بأن نكتب الظواهر الصحيحة فيه بالاستقلال عن الظواهر المزيفة ، وأن ندرس الممارسات الاسلامية بمعزل عن الأخرى «الانحرافية» غير أن ما يشترط لنجاح هذا وذاك : عدم التشنج الفكري ، نحن هنا نقرأ التاريخ ولا نصنعه ، وشتان ما بين الإثنين ، فمثلاً عندما نقرر أن نظام الاسلام في حكمه شوري لا وراثي .. فينبغي أن نكتب التاريخ بناء على هذه القاعدة .. فتظهر (أي تلك القاعدة) عبر الزمن ، وليس في العهد الراشدي فقط ، وتظهر أعمال هؤلاء وخدماتهم الرائعة التي أغنوا بها ظواهر الحضارة الاسلامية ، ثم ندرس ظاهرة الانحراف في الحكم الشوري مع اعتبارنا الوراثة في الحكم انحرافاً ، غير أن هذا لا يدفعنا إلى اسقاط (الاسلامية) عن تلك العهود ، وننفض أيدينا منها «وهو اتجاه خطر في الفكر الاسلامي» ..

إذ أن هذا يؤدي إلى مسخ التاريخ لا إلى إعادة كتابته ، فمعاوية ، وإن اتجه بالحكم إلى الملك الوراثي ، وادخل في الاسلام «ولاية العهد» التي تطورت إلى أن أصبحت تقليداً في الحكم .. إلا أنه ومن بعده العديد من الخلفاء والحكام قد



... تلك وسواها مما ينبغي دراستها دراسة وافية حتى يرتبط التاريخ مع مقتضيات وطروحات الفهم الإسلامي . وكذلك الامم غير الإسلامية فلا بد من دراستها على انها من غير المسلمين ، فتظهر من خلال الدراسة التناقضات والمواقف التي أدت بهم الى انبعاث جديد بعد تآثر تلك الامم - وبحدود معينة - بمدنية الاسلام وحضارته «الظواهر المادية ....»

(١٢) - إبعاد المصطلحات الغربية عن كتابة التاريخ : وعندما نكتب التاريخ من جديد لايجوز أن نقوله (بضم النون وكسر الواو) ما لايقول ... فلا يجوز أن ندخل مفاهيم عصرية طرحتها الحضارة الغربية أو المفاهيم الاشتراكية فتفسر الاحداث والوقائع الماضية على ضوءها ، أو بناء لمعطياتها فنقول مثلا بحركات قومية أو اشتراكية أو منافسات حزبية لم تكن اصلا موجودة في حقب التاريخ الإسلامية ، وإنما كانت انحرافات عن الفهم الإسلامي الصحيح ...

هذه خطوط أولى ، أو مقدمات لوضع اساس منهجي بضبط حركة إعادة التاريخ الإسلامي ... وأظن أن في ثناياها إشارات لابد من تفصيلها ، كما أم فيها ما يثير الجدل ... ولايمكنني ، كما نوهت اصلا ، من حسم المسألة من طرف واحد ... فلا بد لموضوع خطير كهذا من محاورات وندوات ، كما لابد من مؤسسة إسلامية عالمية يكون بإمكانها وضع الاصول العامة شريطة أن لا تتبع هوى شخصيا أو ابحاثا سياسية ...

يتناقض مع التقسيم الإسلامي : ومن جهة أخرى لابد من اعتماد تقسيم لحياة الدولة الإسلامية عبر العصور مختلف عن التقسيم الأوروبي ، فلديهم في المنظور الأوروبي عصور قديمة ، وعصور القرون الوسطى ، والعصر الحديث الذي يبدأ بسقوط القسطنطينية غير أن هذا التقسيم الذي نقله المؤرخون المحدثون وعمموه على تاريخنا ..

لاينسجم بقليل أو كثير مع تاريخنا ، فإن كانت القرون الوسطى في أوروبا غاية في الظلم والتخلف فهي عندنا - وفي حدود - مقبولة الاشراف المادي والمدنى ... بينما قرون التخلف والجهالة عندنا هي في القرنين الماضيين على الاكثر ... اي منذ اشتداد تدخل أوروبا في شؤوننا بعد أن دب الضعف المشين الى الجسم العثماني .

(١١) - النظرة الإسلامية الى الامم قديما وحديثا : وكما نرفض سياسة تقسيم العصور الأوروبية كذلك ينبغي أن يكون الموقف في نظرنا الى الامم ، فالأمم في المفهوم الإسلامي إحدى اثنين أمة مسلمة وأخرى غير مسلمة ، والأمة المسلمة تضرب بجذورها الى الماضي البعيد حيث الانبياء ، فكلها حلقات في سلسلة التاريخ الإسلامي ، كانت أكبرها الدول الإسلامية التي بدأت مع النبي صلى الله عليه وسلم ... ومن هنا لابد أن ندرس بعناية الامم التي ذكرها القرآن كعاد وثمود وسبأ ... ثم موسى واقوامه ثم عيسى واليهودية وشعوب تلك المنطقة

الاطراف ، فكما احتلت الجزائر وتونس ، ثم مصر والسودان ، كان هناك نوع آخر من الاحتلال في آسيا الوسطى من قبل روسيا .. وكما كان هناك بطولات في الحركة الجهادية الجزائرية والمصرية والسوسية كان كذلك في القوقاز حركة جهادية رائعة .. في الوقت الذي كانت الاستانة ترقب تلك الحركات بالم دون أن تتمكن من مد يد العون .. تلك اللعبة الدولية تستتبع في اساسها دراسة الاسباب التي لم ( يتحرك العثمانيون ) لنجدة الاندلس الذبح في اقصى الغرب لاجلها ، بينما على صعد اخرى في وسط وشرقي أوروبا ... ماديين دولتهم الى اطراف لم تقبلهم بينما تخلوا عن اطراف كانت تنسجم في الدين والحضارة .

(٩) - الحركات .. والامتيازات وتأثير الاجنبي والتعددية الحضارية : وفي اثناء دراسة الحركات الجديدة التي قامت ضد السلطنة سواء منها الحركات الاصلاحية كالوهابية ، والتي تدخل في حيز الاطماع ، كحركة محمد علي باشا في سوريا ولبنان ، وحركة الشريف حسين في الحرب الاولى ، أو الاحداث المحلية في جبل لبنان وقبرص وتكريت وارمينيا والاكراذ تلك التي نتجت بتأثيرات دينية بدعم أو تأثير خارجي ...

ومدى امكان تجانس الشعوب أو تنافرها في ظلال الوحدة الإسلامية وتأثير «الاعتراف» بتعددية حضارية في ظلال الحكم الإسلامي ، ودراسة عميقة لمسألة الامتيازات الاجنبية التي منحها سلاطين بني عثمان لقناصل الدول الاجنبية ، والتي تمادت لتكون السند الشرعي لتدخل مكشوف في البلاد الإسلامية ويستتبع هذا دراسة مسألة القوميات بعناية أكبر .

(١٠) - التقسيم الغربي لعصور التاريخ